

أعيادنا الدينية وكيف نحييها

للاستاذ عبد الحميد عنتر

الأستاذ بكلية اللغة العربية

قضت السنن الإلهية في تكوين الجماعات الانسانية ، أن يكون لكل أمة ذات تاريخ مجيد ومجد تليد ، أعياد تستجم فيها من عناء العمل ، وإجهاد الفكر ، وتستروح بها نسيم الحياة الهادئة المطمئنة الملية بأنواع الصفاء والألوان السرور المباح ، لتستعيد بذلك حيويتها ، وتستجمع قوتها ، وتستقبل أعمالها مهمة ونشاط ، وقوة وثبات ، وعزيمة ومضاء ، لا يتطرق إليها الوهن ، ولا يعتريها كلل أو سام .

ولهذا وحده وجدت الأعياد في الأمم التي أخذت بأوفي نصيب من الحضارة والعمران .
وانقد كان للعرب قبل الاسلام أعياد ومواسم ، غير أنها لم تكن للراحة والاستجمام ، ولا للسرور وإظهار النعم ، بل كانت تقام إما لتعظيم الأوثان والأصنام ، وإما لاذكاء نار العداوة والحقد للأخذ بالثأر . فكان ضررها أكبر من نفعها ، وشرها أكثر من خيرها . فلما جاء الإسلام ، واستظل العرب بلوائه الخلفاء — أبدلهم الله بهذه الأعياد الوثنية ، والمواسم الجاهلية ، عيدين عظيمين مباركين : عيد الفطر وعيد النحر . شرعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي لا ينطق عن الهوى في السنة الثانية من الهجرة . روى أبو داود في مسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ولأهلها يومان يلعبون فيهما ” فقال : ما هذان اليومان ؟ فقالوا كنا نلعب فيهما في الجاهلية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل قد بدلكم خيرا منهما : يوم الأضحى ويوم الفطر .
وقد حث الرسول عليه الصلاة والسلام في الأحاديث الصحيحة ، على إحياء ليالي هذين العيدين ، وإظهار الفرح في أيامهما الفاضلة .

ولما كنا الآن نستقل بقلال عيد الفطر المبارك ، ناسب أن نخص بمقالنا هذا العيد السعيد . روى الإمام الطبراني عن سعيد بن أوس الأنصاري ، عن أبيه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ” إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فتادوا : أغدوا يا معشر الصائمين إلى رب كريم ، يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم ، وأمرتم بصيام النهار فصمتتم ، وأطعمتم ربكم فاقبضوا جوائزكم . فإذا صلوا نادى مناد ألا إن ربكم قد غفر لكم ، فارجعوا راشدين إلى رحاكم ، فهو يوم الجائزة ، ويسمى ذلك اليوم في السماء يوم الجائزة ” .

فانظروا إلى إكرام الله تعالى هذه الأمة بهذا العيد . العيد الذي يأمر فيه ملك الملوك بأن تصطف ملائكة الرحمة والبشارة ، على أفواه الطرق المؤدية إلى المساجد ، لتحية الصائمين

المعبدین ، وینشرهم بالثواب الجزيل والخیر الكثير ، جزاء صیامهم وقيامهم ، وبأنهم إذا رجعوا من صلاة العيد إلى ديارهم ، رجعوا راشدين طاهرين من الذنوب والآثام . فنعمت الحائز ، ونعم المميز الكريم . سبحانه لا تحصى ثناء عليه !

أما كيف نحیی أيام العيد ، فقد سن الإسلام لذلك سننا ، هي أرق ما وصل إليه عقل البشر في تدعيم النظام الاجتماعي ، وبناء الأمر على أساس من المحبة والاخاء ؛ فقد كان من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يأمر المسلمين والمسلمات بالخروج في صبيحة العيد إلى المسجد الحرام ، فلا يبقى رجل ولا امرأة ، ولا صبي ولا صبية ، إلا خرج في أبجل حلة ، وكل نظام . حتى إذا شهدوا صلاة العيد ، عادوا من طريق آخر غير الطريق الذي سلكوه ؛ ليطلع أهل الطريقين على شوكة المسامين وعظمتهم ، وليظهر للعيون شأن هذه القلوب المتحدة ، والنفوس الطائفة الراضية الزاكية ، التي تصافت أفرادها وتعاونت وتآزرت ، حتى صارت كالبنیان يشد بعضه بعضا .

وما زال المسلمون — بحمد الله — يأخذون ببعض هذه السنة إلى يومنا هذا . وذلك مظهر رائع من مظاهر الألفة والاتحاد ، وسبيل واضح إلى إظهار القوة والمنعة وعزة الجانب . ولم يهمل الإسلام الناحية الصحية البدنية ؛ فقد جعل من سنة العيد أن يخرج كل فرد من بيته نظيف البدن ، نقي الثوب ، جديد الحلة إذا استطاع ، متعظرا بما تيسر له من أصناف العطور الزكية ، والروائح الشذية ، ليتلاقى المسلمون وهم أصفياء القلوب ، نظاف الأبدان ، أذكياء الأرواح . أما الناحية الاجتماعية في العيد ، فقد حاطها الإلهام بسياج من العطف والرحمة ، وخطفها بشيء من السرور والانشراح البريثين من كل حرج وإثم . فهو لذلك :

(أولا) شرع زكاة الفطر على كل مسلم ومسلمة . تؤخذ من الغنى والفقير ، والصغير والكبير ، لتوزع على المحتاجين من فقراء المسلمين والمسلمات . عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : " أغنوهم عن السؤال في هذا اليوم " . ولذلك شدد في وجوب إخراجها ، وتوعد القادرين عليها بالآية قبل صيامه عند الله ، إلا إذا أذاها كاملة غير منقوصة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " صوم رمضان معلق بين السماء والأرض ، لا يرفع إلا بزكاة الفطر " . فأى تعاطف وتواصل خير من هذا ؟ بل أى بر ورحمة في الشرائع الوضعية يقرب مما شرعه الإسلام ، جمعا للقلوب ، وشفقة على الضعفاء ، وتركيا وتظهيرا للأغنياء ؟

أوجب على المسلمين أن يتمتعوا بالفطر في هذا اليوم ، وحرم عليهم صيامه ، تعويذا لهم على الطاعة والإمثال ، وطرذا للنسامة والملال ، وأحل لهم الطيبات ، وحضهم على إظهار النعم والتحلل بأجمل اللباس ، وطلب إليهم التراور وصلة الأرحام ، والتلطف إلى الأصدقاء والخلان ، وأباح لهم تعاطي أنواع اللهو المباح ، كسماع الأغاني والموسيقى والمزمار ، ترويحاً للنفس ، ولإدخال السرور على القلب . ففي الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل على أبو بكر رضي الله عنه ، وعندى جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان

بما تقولت به الأنصار يوم بعث ، وليستا بمغنيات (معنى تقولت : تفاخرت بقول الشعر ، وبعث موضع قرب المدينة ، ويوم بعث من أيام الجاهلية بين الأوس والخزرج ، وقولها : ليستا بمغنيات أى ليس الغناء لهما حرفة وصناعة) . فقال أبو بكر : أمر ماراً الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! وذلك يوم عيد . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا". وفي رواية أخرى : ودخل أبو بكر فاتهمنى وقال : مزماره الشيطان عند النبي صلى الله عليه وسلم ؟ ! فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "دعهما" فلما غفل غمزتهما فخرجنا ، وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحرايب . فلما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإما قال : تشتهين تنظيرين ؟ فقلت نعم ، فأقامنى وراءه خدى على خذه وهو يقول "دونكم يا بنى أرفدة" حتى إذا مللت قال حسبك ؟ قلت نعم . قال فاذمبني (الدرق التروس تتخذ من جلد بلا خشب لتنتق بها الحرايب ، وبنو أرفدة جنس من الحبشة) . وفي رواية البخارى : "دعهما يا أبا بكر ، فإنها أيام عيد ، وتلك الأيام أيام منى" .

من هذا الحديث ونحوه أخذ العلماء كالإمام الغزالي وغيره جواز الاستمتاع باللهو البرى ، والاستمتاع لصوت الغناء ، إذا لم يقترب كل منهما بمحرم من المحرمات التى بيئتها الشريعة الغراء . وقد قال صلى الله عليه وسلم "الحلال بين ، والحرام بين" .

ولا يظن ظان أنى أفتى الآن بجواز تعاظمى اللهو ، واستماع الغناء بلا قيد ولا شرط ، أو بقيد خفيف وشرط سهل ! بل الحكم الشرعى فيه تفصيل ، وبيانه يحتاج إلى شرح وتطويل . وربما عدت إلى هذا البيان فى مقال إن شاء الله ، لأنى أعرف أن كثيراً من المسلمين والمسلمات فى أشد الحاجة إلى معرفة حكم الشريعة الإسلامية ، فى سماع الغناء وآلات الطرب بالتفصيل . وبخاصة بعد أن ذاع وشاع اقتناء المذياع (الراديو) حتى كاد لا يخلو منه بيت فى المدائن ، وحتى تسأل فى الريف جهارا إلى القرى والساكن .

وبعد فإن الشريعة الحنيفية السمحة لم تحرم على المسلمين شيئاً من أنواع الطيبات . ومنها الغناء المباح واللهو البرى ، وإن ما يعله المسلمون فى أعيادهم من اللهو غير المحرم ، لا تنكره شريعة الإسلام . وهى الشريعة التى تسير روح التقدم والرقى الخلقى فى كل زمان ومكان ! جعلنا الله من المهتدين بهديها ، القاعمين لأسرارها ، المستمسكين بعروتها التى لا انفصام لها . ونسأله تعالى من فيض إحسانه وواسع رحمته ، أن يعيد إلى العالم راحتته وطمأنينته ، وأن ينشر عليه لواء الأمن والسلام ، وأن يوفق المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، إلى العمل لما فيه صلاح دينهم ودنياهم ، وأن يحفظ مكانته فى أرضه من عوادم الزمن ، وشروخ الفتن والمنح ، وأن يغمر أرضها وبنينا بالخصب والنعاء ، والرخاء والصفاء ، فى ظل الملك الدستورى الصالح ، صاحب الجلالة ، الملك فاروق الأول ، أيدى الله بنصره ، وأبوابه ذخراً للدين وللوطن ، إنه سميع مجيب الدعاء .

عبد الحميد عتر

أستاذ بكلية اللغة العربية